



أحمد أبو دلو\*

## الحنّاء... عطر وجمال ودواء

◀◀ في هذه الوقفة التراثية نحاول أن نلقي الضوء على جانب من جوانب الإبداع الشعبي في تقاليد وعادات أغلب مجتمعات أفريقيا وجنوب وشرق آسيا، والدول العربيّة والإسلاميّة، باستخدام نبتة الحنّاء للتزيين والظهور بالمظهر الحسن والجميل، ناهيك عن الاستفادة من بعض الخصائص الطبية لتلك النبتة.

أوراقها في أكاليهم الجنائزيّة، كما عُثر على مومياءات غُطّيت بقماش مصبوغ بالحنّاء. وشجرة الحنّاء تشبه شجرة الرمان، يتراوح ارتفاعها من متر إلى ثلاثة أمتار، أوراقها متقابلة على الساق وتحمل الأزهار الصغيرة في نورات عنقوديّة، وثمرتها صغيرة تحتوي بذور هرميّة الشكل. أزهار الحنّاء لونها أبيض أو بنفسجيّ، وتنتج رائحة عطريّة ناتجة عن زيت طيار ذو رائحة طيّبة.

الحنّاء مادة تقليديّة عرفتها العرب منذ آلاف السنين، واستُخدمت في العصور الإسلاميّة في صبغ أطافر النساء وأجزاء من أقدامهنّ، واستخدمها الرّجال في صبغ لحاهم، واستُخدمت في إنتاج مستحضر تجميل أحمر برتقالي اللون يستخدم في صبغ الشّعر والبشرة، وكذلك في صبغ جلود الحيوان وحوافر وشعر عنق الخيول. وقد عرف قدماء المصريين الحنّاء واستخدموا

\* كاتب أردني

ahamdabudalo@yahoo.com

أماكن كثيرة من شبه الجزيرة العربيّة واليمن ومصر والشام. ويُزرع النبات بالعقل في أوائل الربيع، وتُحصَد أوراقه بقطع الفروع وربطها في حُرْم تجفّف في الشمس، وتُفصل الأوراق عن الفروع بطريقة دقّها بالعصا، ثم تفصل عن العيدان وتُغريّل لفصل الشوائب.

### الخصائص الطبيّة للحناء

ثبت علمياً أنّ الحناء إذا وضعت على الرأس لمدة كافية بعد تخمُّرها فإنّ المواد القابضة والمطهّرة الموجودة بها تعمل على تنقية فروة الرأس من الميكروبات والطفيليات، ومن الإفرازات الزائدة للدهون، وتعدّ علاجاً نافعاً لقرشرة الشعر والتهاب فروة الرأس، ويفضّل استعمال معجون الحناء بالخلّ أو الليمون، لأنّ مادة "اللوزون" الملوّنة لا تصبغ في الوسط القلويّ.

كما يفيد استخدام الحناء في علاج الصداع، لكن فائدته ليست مطلقة، فالحناء لا يعالج كل أنواع الصداع وإنّما يعالج الصداع الناجم من فرط التوتر الشرياني، وذلك بامتلاكه الخاصيتين، فهو ينظّم ضربات القلب، وينبّه القلب من جهة أخرى، ويسبّب ارتخاء العضلات وتوسيع الأوعية الدموية.

وفيد التخضيب بالحناء في علاج تشقّق القدمين وعلاج الفطريات المختلفة، فقديمًا استخدم الغوّاصون الحناء؛ حيث كانوا يخلطون الحناء مع قليل من الصبر والمُرّ وتخصّب به أيدي الغواصين ليحميها من التشقّق لدى جرّ الحبل أثناء الغوص بحثًا عن اللؤلؤ، كما يُخلط الحناء

تستعمل الحناء على شكل مسحوق من الأوراق والفروع المجفّفة المطحونة، وتوجد بأصناف كثيرة منها: البلدي الشامي، البغدادي... وتعدّ الحناء البلدي أغنى هذه الأنواع بالمواد الملوّنة. وللحناء أسماء مختلفة حيث تسمّى زهرة الحناء في مصر (تمر حنّا)، وفي اليمن (الحنون)، وفي الشام (القطب).

ويُحكى أنه أثناء الاحتفالات بزواج "قطر الندى" ابنة خمارويه من الخليفة المعتضد، سهرت القاهرة ليل طويّلة تنغى بأغنية "يا حنّة.. يا حنّة.. يا قطر الندى". ويمرّ الزمن، وتظل الحناء تمثل قيمة كبيرة في نفوس كل الشعوب العربيّة والإسلاميّة التي قد تختلف أو تتشابه في عاداتها وتقاليدها المتوارثة.

### موطن وأماكن تواجد شجرة الحناء

الموطن الأصلي لشجرة الحناء غير معروف على وجه التحديد، فبعضهم يعتقد أنّ موطنها بلاد فارس، وبعضهم الآخر يذكر أنّها جاءت من بلاد الهند.

وعرف قدماء المصريين الحناء عندما أرسل الملك رمسيس الأول بعثة طبيّة إلى آسيا للبحث عن بعض الأعشاب المفيدة، ومكثت البعثة ما يقرب من العام وعادت بنبات الحناء الذي استخدمه المصريون القدماء في التحنيط والتجميل واستخراج العطور. وعرفت العرب نبات الحناء وكثرت استخداماته قبل الإسلام وبعده.

كما تنمو هذه الشجرة في أستراليا والمناطق الرطبة من ساحل شمال أفريقيا، وهي تُزرع في



والنقش به على الأيدي والأرجل. وتُعدُّ الزينة الشعبية (الحنّاء) مرآة صادقة عكست لنا أهم جوانب الحياة في البلاد العربيّة، من خلال زخارفها ونقوشها، فعبرت لنا عن مجتمع صحراوي قاحل وبيئة بحريّة بسيطة، كذلك ارتبطت الزينة الشعبيّة (الحنّاء) بكثير من العادات والتقاليد قديمًا، فلم يكن سلاح الفتاة قبل الزواج بالترتُّن بمواد تجميليّة أخرى، بل اقتصرت زينتها على الكحل والحنّاء. وتُعدُّ الحنّاء خضابًا مشهورًا ووسيلة من وسائل الزينة الشعبيّة لدى المرأة العربيّة التي اشتهرت بحبّها للحنّاء ونقشه.

وقد أولت التقاليد القديمة العروس العربيّة الاهتمام، فخصّتها بحفله قبل زفافها بليلة، تسمّى "ليلة الحنّاء"، وفيها يتم عمل العديد من أواني الحنّاء المخلوطة بماء الورد والمزيّنة بأروع الألوان، ويتم تخضيب أكفِّ وأقدام العروس

(الوسمة)؛ وهو نوع آخر من الخضاب ولكن يصبغ بلون أسود، وتخصّب به أقدام الغواصين فيصبح لونها أسود، وبالتالي يحميها من سمك الجرجور، وهذه إحدى الحيل التي اهتدى إليها الغواص ليحمي نفسه وهو في أعماق البحر. كما أنّ البنّاء (المعمرجي) كان يخلط الحنّاء مع المرّ والصبر ويضعها على كفيّه وذلك لحمايتهما من التشقّق أثناء استخدام مادة الإسمنت في البناء.

وأكدت بعض الدراسات الحديثة أنّ الحنّاء تشفي من أمراض المعدة، وتقوي الطبقة السفلى للجلد، وتحمي يديّ المرأة من تأثيرات أشعة الشمس الجانيّة أو الاستعمالات المتكررة واليوميّة للماء. وتحتوي الحنّاء على مواد مطهرة تهاجم الميكروبات والجراثيم، ومن الملاحظ في أوساط الفلاحين العاملين في بعض المهن اليدويّة الشاقة مثل الحفر والبناء وطلاء الجدران أنّ الحنّاء استخدمت بنجاح منذ عقود طويلة على الأيدي المتقرّحة أو المتشقّقة.

### الحنّاء ألوان وفنون

تنوّع الإبداع الشعبي من حكم ومأثورات وقصص وحكايا وأزياء وزينة ونقوش وموسيقى، وبهذه الوقفة التراثية نحاول أن نلقي الضوء على جانب من جوانب هذا الإبداع الشعبي.

في تقاليد وعادات أغلب مجتمعات أفريقيا وجنوب وشرق آسيا، والدول العربيّة والإسلاميّة استُخدم الحنّاء للترتين والظهور بالمظهر الحسن والجميل، واستعمل لصبغ الشّع

بالحناء بالعديد من النقوش والزخارف، وتكلف إحدى النساء المتخصصات بهذه المهمة، حيث يضيف الحناء على يديّ العروس وقدميها لوناً أحمر زاهياً جذاباً، ويتم توزيع الحناء أيضاً على المدعوّات تبرُّكاً به، كما ويتم ترديد الأناشيد الجميلة الخاصة بهذه المناسبة.

وقد عُرِفَت المرأة العربية منذ القدم بتفنُّنها برسم الخطوط والنقوش والأشكال بالحناء، حيث تتفنَّن في اختيار خطوط متقنة غاية في الدقة تمتاز بدوقها وإحساسها الجمالي.

وفي القديم كانت المرأة المتخصصة بالحناء (الحنّاية) تقوم بالاستعانة بقطعة من العجين تعمل منها أشكالاً وزخارف هندسيّة تلتصقها على كفيّ وقدمي المرأة، بعدها تأتي بالحناء وتصبُّه على تلك الزخارف، وتلف أطراف المرأة بقماش خاص كطريقة الجبيرة حتى تحافظ على نقش الحنّة.

وما زالت النساء في بعض الدول العربيّة يستخدمن العجين وسيلة في نقش الحنّاء، وكذلك يستخدمن أعواد الكبريت، وهذه الطريقة تقليديّة وبطيئة، واستمرّت حتى واكبت زمن التطوُّر والسرعة، فأصبح النقش يتم عن طريق وضع الحنّاء في كيس مخروطي الشكل مثقوب، تتم الاستعانة به في التّنقش. كما يستعملن الحناء لتلوين الشعر، أو يستعملن "الوسمة"، وهي صبغة ذات لون أسود -كما أشرنا سابقاً- يصبغ أحياناً بها الشعر وغالباً ما تستخدمها النساء في نقش اليدين بزخارف متنوّعة مستوحاة من البيئة، وأحياناً توضع نقطة منها مع الديرمة على الشفاه لتعطي جمالاً أكثر.

وهناك "السومار" وهي صبغة مكوَّنة من الحنّاء والفورة والشنادر. ومن أنواع التّنقشات التي تزيّن بها الحنّاء اليدين، نقش السعفة، والفزارة، والجوارع، ونقشة الطيور.

وهناك طريقة "القصعة" وهي السائدة في وضع الحنّاء على اليدين، وما زالت تستخدم إلى اليوم، وتعدُّ من أسهل الطرق، وهي عبارة عن وضع قطعة من الحنّاء في كل يد، وقفلها عليها حتى الصباح.

كذلك اعتنت المرأة قديماً بعناية كاملة بشعرها كرمز للجمال والأنوثة، فبالغت في الاعتناء به، وحرصت على إطالته وتضفيره بشكل دائم على هيئة جدائل، وساعدها في هذا عدّة طرق وأساليب منها الحنّاء، وقالوا في الأمثال الشعبيّة: (الشّعر صوغ بنت الفقير).

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ هناك مجموعة كبيرة من أنواع الحنّاء المتداولة في الوطن العربي في وقتنا الحاضر، والتي تُستورد من اليمن وإيران والهند وباكستان وزنجبار، ومنها الحنّاء السوداني أحمر ماركة تاج القمر، وحناء العروسة السوداء وهو إيراني، وحناء الكريم الباكستاني، والحنّاء العُمانيّة من إنتاج عُمان، وحنّاء الإمارات وهو باكستاني، وكلّها وغيرها من الأنواع ما زالت مصدر اهتمام النساء والرجال على حدّ سواء.

وأخيراً، فقد تميّزت الزينة الشعبيّة وأدواتها بالبساطة وبسهولة التركيب والاستخدام لتوفّر الحصول عليها من البيئة المحيطة، لهذا كانت أقلّ خطراً على الجلد والمسامات لعدم احتوائها على مواد كيميائيّة، وكانت فائدتها أكثر من ضررها ■